حكايات وأساطير للأولاد

سعاد
لولو والسنونو

منشورات
المكتب العالمي
بيروت

حكايات وأساطير للأولاد

سلسلة قصصية مصورة، ملونة، توجيهية
لمطالعات تلامذة صفوف الشهادة الابتدائية.



منشورات المكتب العالمي بيروت
للطباعة والنشر

سعاد - لولو والسنونو

كَانَتْ سعادُ جَالِسَةً فِي ٱلْأُرْجوحَةِ حِينَ شَاهَدَتِ السُّنونوةَ فَالْتَفَتَتْ إلىَ شَوْقِي وَقَالَتْ :

ـ أَخبِرْنِي يَا شَوْقِي ... لِمَاذَا تَبْقَى السُّنونوَّة تُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْها وَتَطِيرُ فِي ٱلْمَخْزَنِ ؟

وَرَدَّ عَلَيْها شَوقِي بِلَهْجَةٍ قَوِيَّةٍ وَقَالَ :

ـ وَمَا شَأْنُكِ فِي ذٰلِكَ ؟

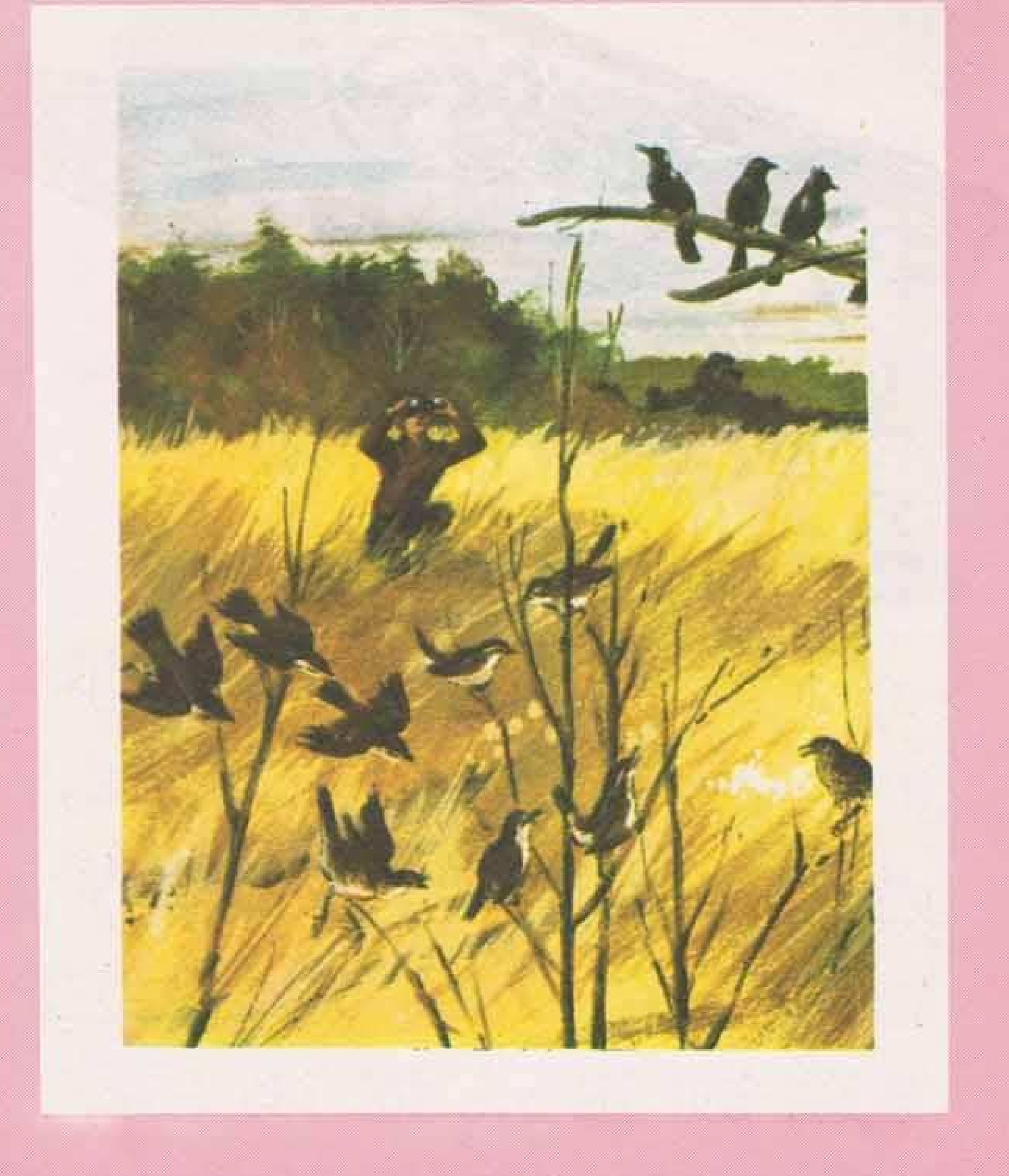
وَفِيمَا كَانَ شَوقِي يَدْفَع ٱلْأُرجوحَةَ بِسعَاد ، تَنَهَّدَتْ وَقَالَتْ بِفَرَح :

ـ آهِ يَا شَوقِي لَوْ تَعْرِفُ مِقْدَارَ سروري وَأَنَا أَعْلو في ٱلْجَوِّ ... إِنَّنِي أَشْعر بِنَفْسِي طَائِرَةً مِثْلَ السُّنونوَة تَمَاماً ... هيّا ، هيّا ادْفَعْنِي يا شَوقِي .

وَمَعَ ذٰلِكَ ، تَرَكَها شَوْقِي وَرَكَضَ مسْرِعاً صَوْبَ ٱلْمخْزَنِ حَيْثُ كَانَتِ السُّنونُوَّةُ . وَمَا أَنِ ٱقْتَرَبَ مِنْ هنَاكَ حَتَّى ٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْوَرَاءِ لِينَادِيَ سعَادَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

– سعَادُ ! أَظنُّ أَنَّ السُّنونوَةَ تَقوم بِبِنَاءِ عُشٍّ لِصِغَارِها ... سَوْفَ أَذْهب لِأَرَى ذٰلِكَ بِنَفْسِي .

عِنْدَئِذٍ ، تَرَكَتْ سعَادُ أُرْجوحَتَها وَرَكَضَتْ بِسرعَة نَحْوَ شَوقِي حَيْث ٱنْضَمَّتْ إِلَيْهِ لِتشَارِكَهُ فِي هٰذِهِ ٱلْمُتْعَةِ ... متْعَةِ مشَاهَدَةِ السُّنُونُوةِ وَهِيَ تُرَفْرِفُ بِأَجْنِحَتِها . وَبَعْدَ لَحظَات جَاءَتْ سُنُونُوةٌ أُخْرَى مِنَ ٱلْخَارِجِ وَأَخَذَتْ تَطِيرُ بِجَانِبِ السُّنُونُوةِ ٱلْأُولَى ... ثُمَّ طَارَتْ إِلَى ٱلْخَارِجِ حَيْثُ أَخَذَتَا تُحَلِّقانِ فَوْقَ ٱلْبُسْتَانِ ... وَكَانَ هذَا ٱلْمَنْظَرُ كَفيلاً بِأَنْ يُدْخِلَ السُّرُورَ إِلَى قَلْبِ شَوْقِي ٱلَّذِي ٱلْتَفَتَ إِلَى سُعَادَ وَقَالَ لَهَا :



- أَرَأَيْتِ يَا سُعَادُ ؟ ... أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ السُّنُونُوَّةَ تُحَاوِلُ بِنَاءَ عُشٍّ لِصِغَارِهَا ... وَآهِ ، لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ مَكَانَهُ .

وَرَدَّتْ عَلَيْهِ سُعَادُ وَقَدْ بَدَتْ عَلَى وَجْهِهَا دَلَائِلُ الدَّهْشَةِ وَالْحَيْرَةِ وَقَالَتْ :



- هَلْ تَظُنُّ أَنَّهُما سَتَعُودَانِ إِذَا بَقِينَا في دَاخِلِ ٱلْمَخْزَنِ ؟

وَسَكَتَتْ لَحْظَةً ثُمَّ تَابَعَتْ تَقُول : « أَلَا تَظُنُّ أَنَّه من ٱلْأَفْضَلِ لَوْ أَنَّنَا نَخْرُجُ مِنَ ٱلْمَخْزَنِ وَنَقِفُ بِالشُّبَّاكِ حَيْثُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى مِنْهُ مَاذَا يَحْدُثُ فِي الدَّاخِلِ ؟

وكَانَتْ فِكْرَةُ سُعَادُ بِدُونِ شَكٍّ رَائِعَةً وَمَعقُولَةً ،

وَهَكَذَا عَمِلَ شَوْقِي بِمَشُورَةِ سُعَادَ وَخَرَجَا مَعـاً وَتَسَلَّقا سُوراً قريباً مِنْ طَاقَةِ ٱلْمَخْزَنِ . وَمَا أَنْ تَطَلَّعَ شَوْقِي مِنَ الطَّاقَةِ حَتَّى رَأَى شَيْئاً غَرِيباً فِي الدَّاخِلِ فَصَرَخَ بِدَهْشَة :

أُنْظُري يا سُعَادُ ... إِنَّهُ هُنَاكَ ... هَلْ رَأَيْتِه ؟

وَتَطَلَّعَتْ سُعَادُ لِتَرَى بِدَوْرِها ثُمَّ ٱلْتَفَتَتْ إِلَى شَوْقِي وَقَالَتْ :

- مَاذَا ؟ هَلْ تَقْصُدُ تِلكَ الدَائِرَةَ ٱلْمَصْنُوعَةَ مِنَ التُّراب؟ وَهَلْ هٰذَا هُوَ عُشُّ السُّنُونُوةِ ؟ وَلٰكِنِّي لاأَرَى العِيْدَانَ

وَأوراقَ الشَّجَرِ الَّتِي تَصْنَعُ مِنْها ٱلْعَصافِيرُ أَعْشاشَها ؟

وَأَخِيراً قَالَ : أَعْتَقِدُ أَنَّ السُّنُونُوَةَ تَصْنَعُ عُشَّ صِغارِهَا مِنْ تُرَابِ النَّهرِ ... وَرُبَّما تُغطِّي العِيْدَانَ اللاَّزِمَةَ بِمِثْلِ هٰذَا ٱلتُّرابِ ...

وَفِي هٰذِهِ الأَثْنَاءِ شَاهَدَا السُّنُونُوَةَ تَطِيرُ مُسْرِعَةً نَحْوَ ٱلْمَخْزَنِ ... وَسُرْعَانَ مَا أَصْبَحَتْ فِي الدَّاخِلِ ثُمَّ وَقَفَتْ فَوْقَ الرَّفِّ ... وبعد بُرهة أَخَذَتِ السُّنُونُوَةُ تَقْفُزُ حَوْلَ ٱلْعُشِّ وَكَأَنَّها كَانَتْ تُشَذِّبُ حَوَائِطَهُ حَتَّى يُصْبِحَ نَاعِماً فَلاَ يُصِيبُ الصِّغَارَ ٱلْأَذى إِذَا لامَسْتَهُ بِأَجْنِحَتِها أَوْ بِأَجْسامِها ... وَكَمْ كَانَتْ دَهْشَةُ شَوقِي عِنْدَما سَمِعَ حَرَكَةً غَرِيبَةً كَانَتْ تَختَلِفُ عَنِ ٱلْحَرَكَةِ ٱلَّتِي تَقُومُ بِها السُّنُونُوَةُ حِينَ تَقْفُزُ مِنْ مَكَان إِلى آخَرَ ... وَتَطَلَّعَ حَوْلَهُ لِيَرَى ٱلْقِطَّ لُولُو وَقَدْ كَانَ قَرِيباً مِنْ بَابِ ٱلْمَخْزَنِ .



وَكَانَ ٱلْقِطُّ قَدْ جاءَ يَتَرَصَّدُ السُّنُونُوَةَ حين رَآها تَدْخُلُ وتخرجُ مِنَ الْمَخْزَنِ . فسأَلَتْ سُعَادُ :

– أَخْبِرْنِي يَا شَوقِي ! هَلْ بِوِسْعِ لُولُو أَنْ يَقْفِزَ إلى مَكَانِ ٱلْعُشِّ ؟ قُلْ لي بِرَبِّكَ !

وَرَدَّ عَلَيها شَوْقِي : « لا أَظُنُّ ذٰلِكَ ... لٰكِنَّهُ رُبَّما حَاوَلَ ٱلْقَفْزَ ... وَعَلَى كُلِّ حَال ، دَعِينا نُرَاقِبْهُ وَنَرَى مَاذَا سَيَفْعَلُ ؟

وَبَعْدَ لَحْظَةٍ ، تَسَلَّلَ لُولُو إلَى دَاخِلِ ٱلْمَخْزَنِ وَوَقَفَ يَنْظُرُ بِعَيْنَيْهِ البَرَّاقَتَيْنِ نَحْوَ الرَّفِّ وَكَأَنَّهُ يَضَعُ خِطَّةً لِلْهُجُومِ عَلَى العُشِّ ... وَكَانَ مِنَ ٱلْمُؤَكَّدِ أَنَّ لُولُو شَاهَدَ طَرَفَ ذَيْلِ السُّنُونُوَةِ مِنْ بَيْنِ شُقُوقِ الرَّفِّ فَسَالَ لُعَابُهُ لِهٰذَا ٱلْمَشْهَدِ . ثُمَّ بَدَأَ يَتَأَهَّبُ لِلانْقِضَاضِ عَلَى الرَّفِّ حَيْثُ رَأَى ذَيْلَ السُّنُونُوَةَ ... وَبَدَأَ يَمُطُّ رِجْلَيهِ حِيناً إلَى ٱلْأَمَامِ وَحِيناً إلَى ٱلْوَرَاءِ حَتَّى لَامَسَتْ مَخَالِبُهُ جِدَارَ ٱلْمَخْزَنِ ... وَأَخِيراً نَفَخَ جِسْمَهُ فَأَصْبَحَ حَجْمُهُ أَكْبَرَ كَثِيراً مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ ... وَلٰكِنْ مَعَ ٱلْأَسَفِ ذَهَبَتْ جَمِيعُ ٱسْتِعْدَادَاتِ ٱلْهُجُومِ ٱلَّتِي قَامَ بِهَا لُولُو أَدْرَاجَ الرِّيَاحِ ... إذْ كَانَ أَعْجَزَ مِنْ أَنْ يَقْفِزَ وَيصِل إلى الرَّفِّ مَهْمَا حَاوَلَ أَنْ يَتَطَاوَلَ وَيَمُطَّ رَقَبَتَهُ ... وَمَعَ أَنَّهُ شَعَرَ بِالهَزِيمَةِ فَقَدْ رَفَضَ أَنْ يَنْهَزِمَ وَرَاحَ يَتَطَلَّعُ حَوْلَهُ ،

كَمَا لَو كَانَ يَبْحَثُ عَنْ وَسِيلَةٍ أُخْرى تُمَكِّنُهُ مِنْ نَيْلِ مَا يَشْتَهِي وَيُرِيدُ ... فَلَمْ يَجِدْ سِوَى سُلَّمٍ قَصِيرٍ جِدّاً ... وَقَفَزَ فَوْقَهُ دُونَ فَائِدَةٍ ... ثُمَّ قَفَزَ مِنَ السُّلَّمِ إِلى إِحْدى الزُّهْرِيَاتِ ٱلْقَرِيبَةِ مِنَ ٱلْمَكَانِ ... وَلٰكِنَّهُ مَا زَالَ بَعِيداً عَنْ مَكَانِ ٱلْعُشِّ ... وَلَمَّا أَعْيَتْهُ ٱلْحِيلَةُ حَاوَلَ أَنْ يَمُدَّ جِسْمَهُ مَا بَيْنَ مَكَانِهِ وَالرَّفِّ ... غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُلاقِ سِوَى ٱلْفَشَلِ وَٱلْهَزِيمَةِ . وَعِنْدَئِذٍ ، غَضِبَ لُولُو وَثَارَتْ ثَائِرَتُهُ خُصُوصاً عِنْدَمَا بَدَأَتِ السُّنُونُوَةُ تَقُومُ بِبَعْضِ ٱلْحَرَكَاتِ ٱلَّتِي كَانَ مِن شَأْنِهَا أَن تَزِيدَ مِنْ غَيْظِ لُولُو وَتُثِيرَ فِي نَفْسِهِ غَرِيزَةَ ٱلانْتِقَامِ ..

كَانَ يَحْدُثُ كُلُّ ذٰلِكَ وَسُعَادُ وَشَوْقِي وَاقِفَانِ فِي مَكَانِهِمَا يَرْقُبَانِ ذٰلِكَ بِكُلِّ دَهْشَةٍ وَسُرُورٍ ...

وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ طَارَتِ السُّنُونُوَةُ وَفَكَّرَ شَوْقِي بِأَنَّهَا طَارَتْ لِتَذْهَبْ وَتَجْلُبَ ٱلْمَزِيدَ مِنَ التُّرَابِ لِإِتْمَامِ بِنَاءِ العُشِّ ... وَكَانَ مِنْ شَأْنِ هٰذَا ٱلْعَمَلِ أَنْ زَادَ فِي يَقِينِ شَوْقِي عَنْ مِقْدَارِ ثِقَةِ السُّنُونُوَةِ بِنَفْسِهَا وَعَدَمِ ٱلاكْتِرَاثِ لِمَا يَقُومُ بِهِ لُولُو .



وَهكَذَا أَصْبحَتِ السُّنُونُوةُ ٱلْمُتْعَةَ ٱلْوَحِيدَةَ لِسُعَادَ ٱلَّتِي كَانَتْ تَتَسَلَّقُ إلى ٱلْحَائِطِ لِرُؤْيَتِها ، عَشَرَاتِ ٱلْمَرَّاتِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْوَاحِدِ ... فَتُرَاقِبُ بِسُرُورٍ وَدَهْشَةٍ نَوْعَ ٱلْعَمَلِ ٱلَّذِي كَانَتْ السُّنُونُوةُ تَقُومُ بِهِ فِي الدَّاخِلِ .

انْتَهى بِنَاءُ ٱلْعُش وَغَادَرَ ٱلْأَبُ ٱلْمَكَانَ بَعْدَ أَنْ قَامَ بِمُسَاعَدَةِ ٱلْأُمِّ فِي بِنَاءِ ذٰلِكَ ٱلْعُشِّ لِصِغَارِهما. لٰكِنَّ سُعَادَ وَشَوْقِي لَمْ يَكُونَا عَلَى عِلْم بِهٰذا ٱلْأَمْرِ فَظَنَّا بِأَنَّ السُّنُونوةَ رَحَلَتْ مِنْ هٰذَا ٱلْمَكَانِ إلى مَكَان آخر .

وَفِي أَحَدِ ٱلْأَيَّامِ دُهِشَتْ سُعادُ حِين شاهدتْ فجْأَةً سُنُونُوةً تطِيرُ قرِيبةً مِن ٱلْمخْزِنِ ... فتركتْ أُرْجُوحتها ونادَتْ شَوْقِي بِفَرَحٍ قَائِلَةً :

– شَوْقِي ! أُنْظُرْ يَا شَوقِي ... أُنْظُر السُّنُونُوةَ قَدْ عَادَت إلى ٱلْمَخزَنِ .

وَرَكَضَ شَوقِي فَرِحاً صَوبَ سُعَادَ وَقَالَ لَهَا بِدَهشَة :

– لَستُ أَدري مَا إذَا كَانَ فِي ٱلْعش بَعْضُ ٱلْبَيْضِ وَكَمْ أَشْتَهِي لَو أَرَى ذٰلكَ عَنْ كَثَبٍ ٱلآنَ .

فَرَدَّتْ سُعَادُ بِلَهْفَة : « آه يَا شَوقِي لَوْ كُنَّا نَسْتَطِيعُ ٱلْحُصُولَ عَلى سُلَّمٍ لَكَانَ بِوِسْعِنا أَنْ نَرى عُشَّ السُّنُونُوةِ بِوُضُوح .. » .

وَأَجَابَها شَوقِي وَقَدْ أَعْجَبَتْهُ ٱلْفِكْرَةُ :

- صَحِيحٌ ! إِذاً ٱصْبِرِي ! إِنَّ فِكْرَتَكِ مُدْهِشَةٌ يَا سُعَادُ ! اصْبِرِي حَتَّى أَذْهَبَ وَآتِي بِسُلَّم ..

وَذَهَبَ شَوقِي لِيَعُودَ بَعْدَ لَحَظَات حَامِلاً السُّلَّمَ وَسَاعَدَتْهُ سُعَادُ فِي إِدْخَالِهِ إِلى ٱلْمَخْزَنِ ، ثُمَّ قَالَت :

- دَعْنِي أَصْعَدُ قَبْلَكَ يَا شَوْقِي ... وَهٰذَا مِنْ حَقِي ، لاَ تَنْسَ ، لِأَنَّ ٱلْفِكْرَةَ كَانَتْ فِكْرَتِي ... أَرْجُوكَ أَنْ تُمْسِكَهُ لِي حَتَّى لا أَقَعَ .

وَلٰكِنَّ سُعَادَ كَانَتْ خَائِفَةً مِنَ الصُّعُودِ إِلى قِمَّةِ السُّلَّمِ ، لِذٰلِكَ ، لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَةِ شَيءٍ ٱلْبَتَّةَ .

وَعِنْدَئِذ تَحَمَّسَ شَوقِي وَقَالَ لِسُعاد :

اهْبِطِي ٱلْآن فَقدْ جاءَ دوري أَنا لِتَسلُّقِ السُّلَّمِ ... اهْبِطِي يا سُعادُ فَأَنا أَطْولُ مِنْكِ جِسْماً ولا أَشْعُرُ بِالْخوفِ مِنْ تسلُّقِ السُّلَّمِ إِلى أَعْلى درجاتِهِ .

وَدَفَعَ بِهِ ٱلْحَماسُ أَنْ يقُومَ بِما يُزْعِـجُ سُعاد فتهْبُطُ بِسُرْعَة وأَخذ يهزُّ ٱلسُّلَّم إلى ٱلْيمينِ تارةً وإلى الشمالِ تارةً أُخْرى . إلاَّ أَنَّ هٰذا ٱلْعمل أَدْخلَ ٱلْخَوْفَ إلى قَلْبِ سُعَادَ وزاد عَنِ ٱلْخَوفِ ٱلَّذي شَعَرَتْ بِهِ وَهِيَ تَتَسَلَّقُ السُّلَّمَ وَصَرخَتْ بِصَوْت مُرْتَجِف :

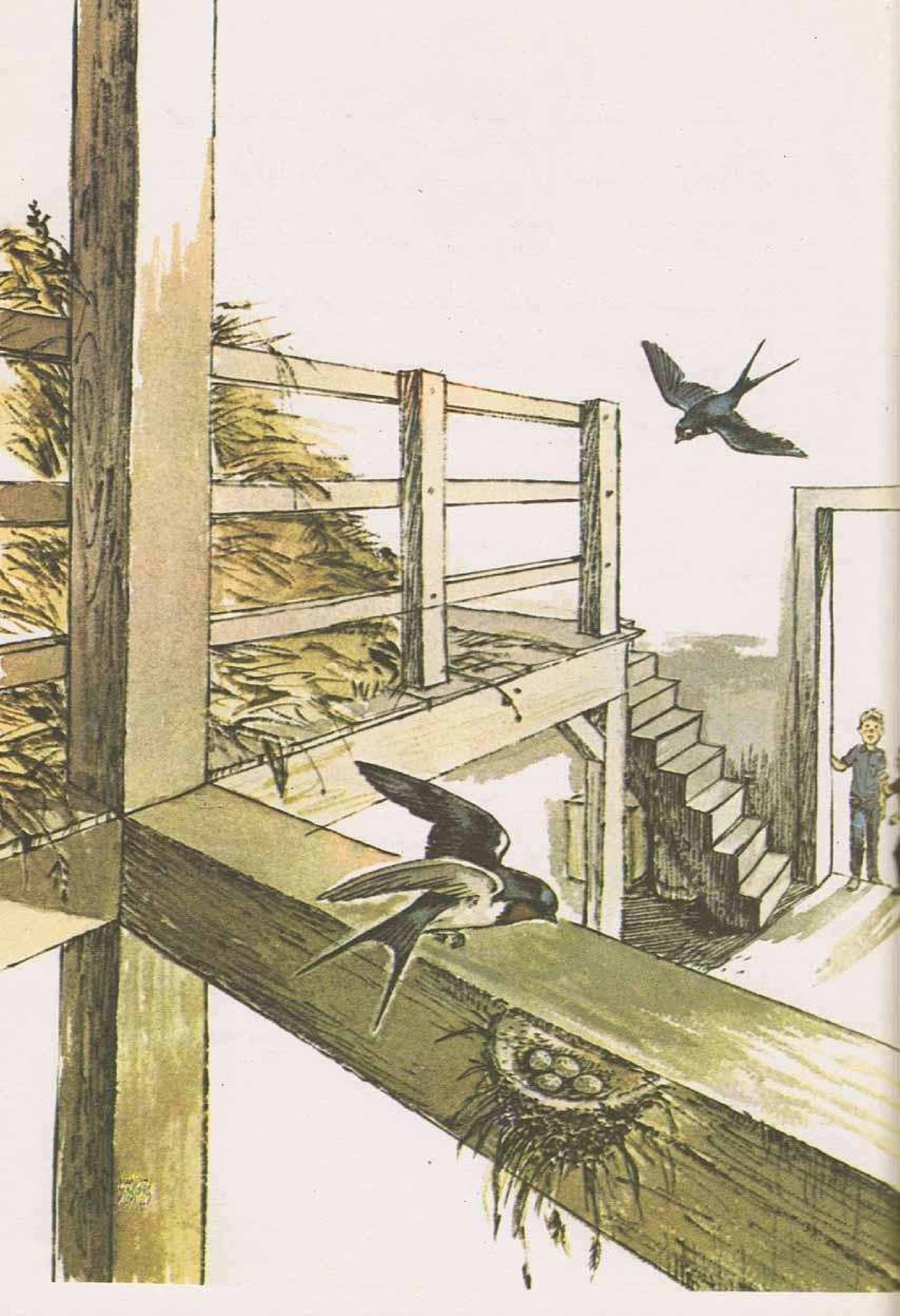
– لاَ ! لاَ تَفْعَلْ ذٰلِكَ يَا شَوْقِي لِئِلاَّ أَقَعَ .. »

وَهَدَّدَتْهُ بِأَنَّها لَنْ تَهْبُطَ مِنْ عَلَى السُّلَّمِ إلاَّ إذَا تَوَقَّفَ عَنْ تَحْرِيك السُّلَّمِ ... وَهٰكَذَا ، تَوَقَّفَ شَوْقِي لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ كَمْ هِيَ عَنِيدَةٌ .

وَجَاءَ دَوْرُ شَوْقِي بِالتَّسَلُّقِ ٱلآنَ ... فَصَعَدَ عَلَى السُّلَّمِ وَظَلَّ يَصْعَدُ إلَى أَنْ وَصَلَ إلَى نِهَايَتِهِ وَشَاهَدَ ثَلاثَ بَيْضَاتٍ فِي ٱلْعُش ... ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إلى سُعَادَ وَقَالَ بَاسِماً :

– يُوجَدُ فيهِ ثَلاثُ بَيْضَات ... وَأَظُنُّ يَا سُعَادُ أَنَّ السُّنُونُوَةَ الَّتِي رَأَيْتُها ٱلْيَوم قَدْ جَاءَتْ لِتَضَعَ ٱلْبَيْضَةَ الرابعة ... ثُمَّ طَارَتْ بَعِيداً .

كَانَ مَا قَالَهُ شَوْقِي صَحِيحاً لِأَنَّ السُّنُونُوَةَ لا تَقْبَعُ



فِي عُشها قَبْلَ أَنْ تَضعَ فِيهِ خَمْسَ بَيْضَات ... عِنْدَئذ ، تَقْبَعُ فَوْقَها وَلاَ تُغادِرُ ٱلْعُشَّ قَبْلَ أَنْ تُفَقِّسَ ... وَحَاوَلَتْ سُعَادُ أَنْ تَصْعَدَ السُّلَّمَ لِتَرَى ٱلْبَيْضَ بِنَفْسِها غَيْرَ أَنَّ شَوقِي مَنَعَها مِنْ ذٰلِكَ لأَنَّهُ كَانَ يَخَافُ عَلَيْهـا مِنَ السُّقُوطِ ... وَلَمْ تَقْتَنِـعْ سُعَادُ بِمَا قَالَهُ شَوْقِي لَهَا إِلاَّ بَعْدَ أَنْ وَعَدَهَا بِأَنَّهُ سَيُحْضِرُ مَعَهُ بَيْضَةً مِنَ ٱلْبَيْضَاتِ لِتَرَاهَا .

وَمَدَّ شَوقِي ذِرَاعَهُ إِلىٰ ٱلْعُشِّ فَتَنَاوَلَ مِنْهُ بَيْضَةً وَاحِدَةً أَعْطَاهَا لِسُعَادَ بَيْنَمَا كَانَ هابِطاً .

كَمْ كَانَتْ دَهْشَةُ سُعَادَ حِينَ أَمْسَكَتْ بِتِلْكَ ٱلْبَيْضَةِ ذَاتِ ٱللَّوْنِ الرَّمَادِي وَبها بُقَعٌ سَمْرَاءُ اللَّوْنِ . وَجَعَلَتْ تَتَأَمَّلُها بِتَأَنٍّ ثُمَّ ٱلْتَفَتَتْ إِلىَ شَوْقِي وَقَالَتْ لَهُ :

- « آه ، كَمْ هِيَ جَمِيلَةٌ ... إِنَّها رَائِعَةٌ ... وَسَأَلَتْهُ : « هَلْ تَعْتَقِدُ بِأَنَّ السُّنُونُوَةَ تَسْمَحُ لِي أَنْ آخُذَ هٰذِهِ ٱلْبَيْضَةَ مَعِي إِلىَ ٱلْبَيْتِ ؟



فَرَدَّ شَوقِي عَلَيها وَقَدْ شَعَرَ بِالْفَزَعِ :

ـ طَبْعاً لاَ يَا سُعَادُ ... ثُمَّ إِيَّاكِ أَنْ تُفَكري بِسَرِقَةِ بَيْضِ ٱلْعَصَافِيرِ ... تَبّاً لَكِ يَا سُعَادُ كُنْتُ أُفَكِّرُ بِأَنَّكِ تُحِبين السُّنُونُوَةَ فإذا بِكِ تُفكرين بِسرِقةِ أغْلى ما عِنْدها ؟

وَرَدَّتْ سُعَادُ بِهَلْجَة سَاذِجَة :

ـ أَنَا أُحِبُّها يَا شَوْقِي ... طَبْعاً أُحِبُّها ... وَلاَ تُفَكرْ بِأَنَّنِي كُنْتُ سَآخُذُ ٱلْبَيْضَةَ إِذَا لَمْ تَسْمَحْ لِي السُّنُونُوةُ بِذلِكَ .

وَصَمَتَتْ بُرْهَةً لِتَعُودَ إِلَى سُؤَالِ شَوقِي بِقَولِها :

ـ هَلْ تَظُنُّ بِأَنَّ السُّنُونُوةَ سَتَعْرِفُ إِذَا أَخَذْتُ بَيْضَةً مِنْ بَيْضَاتِهـا .

وَرَدَّ شَوقِي مُسْتَغْرِباً :

ـ طَبْعاً ... طَبْعاً إنَّها سَتَعْرِفُ ! أُنْظُرِي إلى نَفْسِكِ يَا سُعَادُ فَإِنَّكِ تَعْلَمِينَ إذا كَانَتِ السُّنُونُوةُ سَتَعْرِفُ أَمْ لاَ ! أَخْبِرِينِي يَا سُعَادُ : أَلاَ يَفْتَقِدُكِ وَالِدَاكِ إذَا غِبْتِ يَوْماً وَاحِداً مِنَ الْبَيْتِ ؟ أَلاَ يَبْحَثَانِ عَنْكِ إذَا سُرِقْتِ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ النَّاسِ ؟

فَرَدَّتْ سُعَادُ بِدَلَعٍ :

ـ آهٍ ، مِنْكَ يَا شَوْقِي ! ... أَلَمْ تَجِدْ شَيْئاً آخَرَ سِوَى الْبَيْضَةِ لِتُشَبِّهَنِي بِهَا ؟

وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَوْقِي فَمَا كَانَ مِنْ سُعَادَ إلاَّ أَنَّهَا نَاوَلَتْهُ الْبَيْضَةَ ، فَصَعَدَ شَوْقِي السُّلَّمَ وَأَعَادَهَا إلى مَكَانِهَا فِي الْعُشِّ .

* * *

بَقِيَتْ السُّنُونُوَةُ رَاقِدَةً فَوْقَ الْبَيْضَاتِ لِمُدَّةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً وَذَلِكَ حَتَّى تُبْقِي لِلْبَيْضِ حَرَارَتَهُ . وَلَمْ تَكُنْ لِتَطِيرَ مِنَ الْعُشِّ إلاَّ لِبِضعِ لَحَظَاتٍ كَانَتْ خِلاَلَهَا

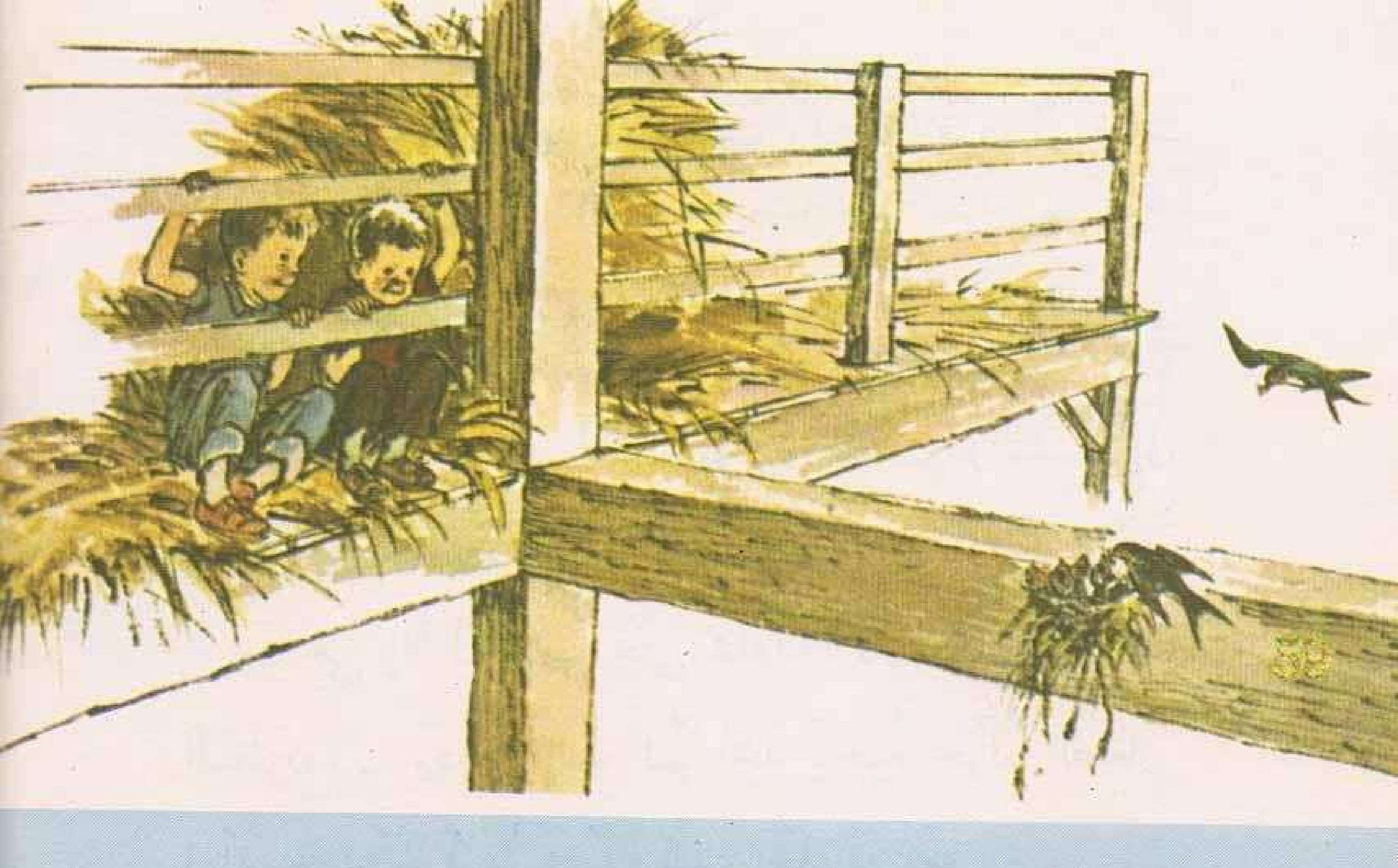
تَبْحَثُ عَنْ طَعَام لَهَا ... وَظَلَّتْ رَابِضَةً فَوقَ ٱلْبَيْضَاتِ إِلى أَنْ فَقَّسَتْ .

وَفي أَحَدِ ٱلْأَيَّامِ سَمِعَ كُلٌّ مِنْ شَوْقِي وَسُعَاد زَقْزَقَةً نَاعِمَةً فَعَرَفَ شَوقِي أَنَّ السُّنُونُوة فَقَّسَتْ وَٱلتَفَتَ إِلى سُعَادَ وَقَالَ بِدَهْشَةَ :

وَمَا هِيَ إِلاَّ لَحَظَاتٌ حَتَّى شَاهَدَا ٱلأَبَ طَائِراً صَوْبَ ٱلْمَخْزَنِ ... وَدَخَلَ إِلَيْهِ ثمَّ أَخَذَ يَحومُ حَوْلَ الصغارِ لِيلَقِّمهَا بَعْضاً مِنْ صَيْدِهِ ٱلَّذِي جَاءَ بِهِ مَعَه .

آه ، كَمْ كَانَ مَنْظَرُ الصِّغَارِ جَمِيلاً ، حِينَما كَانوا يفتَحونَ مَنَاقِيرَهُم وَيَرفَعونَ أَعْنَاقَهُمْ إِلَى فَوقِ كَمَا لَو أَنَّهمْ كَانوا يَتَسَابَقونَ مِنْ أَجْلِ الحصولِ عَلى طَعَامِهِمْ .

وَكَانَ الأَبُ كلَّمَا لَقَّمَ صِغَارَه مَا مَعَه ، يَطِير إِلى ٱلْخَارجِ كَيْ يُحْضِر لَهمْ ٱلْمَزِيدَ مِنَ الطَّعَامِ ... وَسُرْعَانَ مَا كَانَ يَعود حَامِلاً بَعْضَ الشَّيء فَيقَدِّمه لِصِغَارِهِ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ السَّابِقَةِ . وَكَمْ كَانَتْ دَهْشَةُ سعَاد وَشَوْقِي عَظِيمَةً عِنْدَما يلاَحِظَانِ كَيف أَنَّ الأَبَ كَانَ يوَزِّعُ الطَّعَامَ بَيْنَ صِغَارِهِ بِالْعَدْلِ . فَلاَ يَتْرِكُ ٱلْقَوِيَّ يَنَال مِقْدَارَ مَا يريد . بَلْ كَانَ يطْعِم ٱلْجَمِيعَ عَلى السَّوَاءِ .



فَيَضَع لُقْمَةً فِي فَمِ هٰذَا وَلُقْمَةً فِي فَمِ الثَّانِي إلى أَن يَنْتَهِيَ مِنْ إِطْعَامِهِمْ جَمِيعاً .

وَفِي أَحَدِ ٱلْأَيَّامِ ، وَبَيْنَمَا كَانَ شَوقِي وَسُعَادُ يَتَفَرَّجَانِ عَلَى صِغَارِ السُّنُونُو سَمِعَا حَرَكَةً غَرِيبَةً فِي ٱلْخَارِجِ . فَٱلْتَفَتَا لِيَرَيَا ٱلْقِطَّ لُولُو قد جَاءَ ، وَكَأَنَّهُ أَدْرَكَ بِغَرِيزَتِهِ ٱلْحَيَوَانِيَّةِ أَنَّ السُّنُونُو فَقَّسَتْ بَيْضَهَا ، لِيَرَى مَا إِذَا كَانَ يَسْتَطِيعُ صَيْدَ بَعْضِ الصِّغَارِ . وَٱلْتَفَتَتْ سُعَادُ إِلى



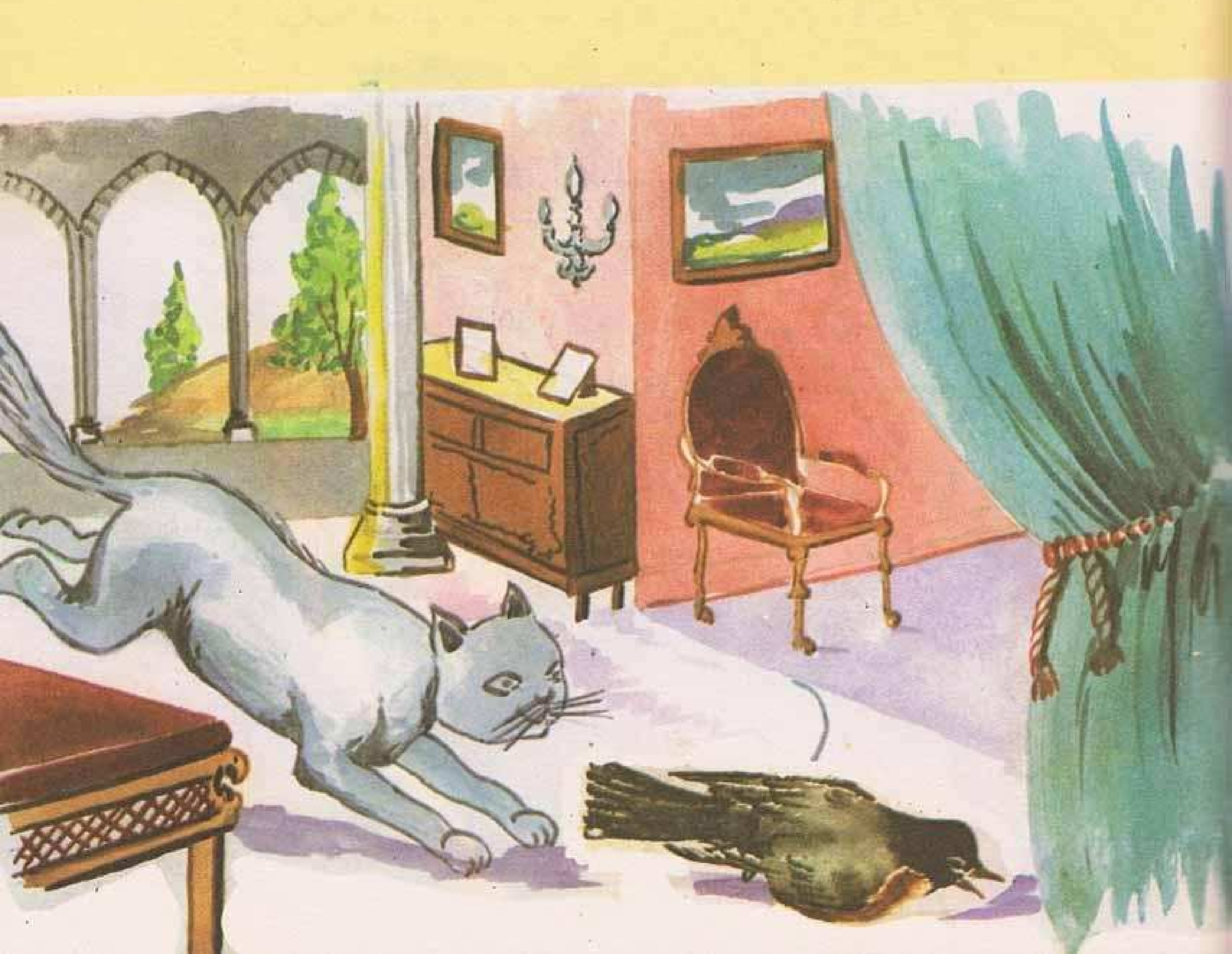
شَوقِي ٱلَّذي كَانَ مَشْغُولا بِالتَّفَرُّجِ عَلى الصِّغارِ وَقَالَتْ :

- لَقَدْ جَاءَ لُولُو يَا شَوقِي ! ٱلْقِطُّ لُولُو حَضَرَ هُنا وَأَظُنُّ أَنَّهُ جَاءَ لِيُؤْذِي الصِّغَارَ ! .

وَفِي هذِهِ ٱلْأَثْنَاءِ ، بَدَأَتْ السُّنُونُوةُ تَطِيرُ فِي جَوِّ ٱلْمَخْزَنِ وَكَانَتْ أَحْيَاناً تُلامِسُ شَعْرَ ٱلْهِرِّ لُولُوبِجناحيها أَثْنَاءَ طَيَرَانِهـا . فَكَانَ لُولُو يَغْضَبُ وَيَثُورُ ... ثُمَّ يَقْفِزُ فِي ٱلْهَوَاءِ مُحَاوِلاً أَنْ يُمْسِكَها ... وَلٰكِنَّهُ كَانَ يَقْفِزُ بِدُونِ جَدْوَى ... بَيْنَما ظَلَّتْ السُّنُونُو لا تَكْتَرِثُ لَهُ ، لاَ مِنْ قَرِيبٍ وَلاَ مِنْ بَعِيدٍ... مَهْمَا حَاوَلَ لُولُو أَنْ يَقْفِزَ وَيَنْفُشَ شَعْرَهُ. وَكَانَتِ السُّنُونُو بِطَيَرَانِها تَقْصُدُ أَنْ تُفْهِمَ لُولُو بِأَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ ٱلْإِمْسَاكَ بِهَا مَهْمَا قَفَزَ كَانَتْ تَطِيرُ ، ٱلْمَرَّةَ تِلْوَ ٱلْأُخْرَى مِنْ فَوقِ رَأْسِ ٱلْهِرِّ لُولُو فَتَزِيدُ ثَورَتُهُ وَيَقْفِزُ فِي ٱلْهَوَاءِ وَهُوَ يَضْرِبُ بِمَخَالِبِهِ عَلَى غَيْرِ هُدَى . وَكَانَ بِنَتِيجَةِ مَا كَرَّرَتِ السُّنُونُو طَيَرَانَها مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ أَنْ أَصْبَحَ يَقْفِزُ بِعُنْفٍ وَلٰكِنَّ نَتِيجَةَ الاِسْتِخْفَافِ وَخِيمَةٌ . وَفِي النِّهايَةِ تَمَكَّنَ لُولُو

أَنْ يُصيبَ السُّنُونُوةَ بِضَرْبَةٍ قَوِيَّةٍ مِنْ مِخْلَبِهِ سَقَطَتْ السُّنُونُو بَعْدَها أَرْضاً وَهَجَمَ لُولُو عَلَيها وَحَمَلَها بَينَ أَسْنَانِهِ ورَكَضَ هَارِباً فَرَكَضَ وَرَاءَهُ كُلٌّ مِنْ سُعَادَ وَشَوقِي لِتَخْلِيصِ السُّنُونُوةِ مِنْهُ ، ولٰكِنَّ مُطارَدَتَهُما لَهُ ذَهَبَتْ عَبَثاً .

وَفِي هٰذِهِ ٱلأَثْنَاءِ وَصَلَ بَارُودُ - كَلْبُ سَعِيدٍ جَارِ سُعَاد - بَعْدَ أَنْ سَمِعَ صَوْتَ الضَّجَّةِ .



حَدَثَ كُلُّ هٰذَا دَاخِلَ ٱلْبُسْتَانِ . وَتَطَلَّعَ لُولُوحَوَالَيْهِ فَوَجَدَ أَنَّ بَارُود قَدِ ٱنْضَمَّ إِلَىٰ سُعَادَ وَشَوْقِي لِيُسَاعِدَهُما فِي مُطَارَدَتِهِ . عِنْدَئِذٍ ، شَعَرَ أَنَّهُ أَصْبَحَ فِي خَطَرٍ .

قَفَزَ لُولُو بِرَشَاقَةٍ إِلَىٰ ٱلْخَارِجِ فطارده بارُودُ ... وظل لُولُو يَرْكُضُ وَبَارُودُ يَلْحَقُ بِهِ إِلَىٰ أَنْ أَصْبَحَ بَارُودُ عَلَىٰ بُعْدِ مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ مِنْهُ . فَأَدْرَكَ لُولُو أَنَّهُ وَاقِعٌ فِي ٱلْفَخِّ لَا مَحَالَةَ وَفَكَّرَ لِنَفْسِهِ أَنَّهُ إِذَا أَفْلَتَ السُّنُونُوَةَ مِنْ بَيْنِ أَنْيَابِهِ أَمْكَنَهُ ٱلْهَرَبَ بَعِيداً مِنْ أَمَامِ بَارُودَ ٱلَّذِي سَيَنْشَغِلُ بِالسُّنُونُوَةِ . وَهٰكَذَا كَانَ ، ثُمَّ رَكَضَ مُسْرِعاً مِنْ وَرَاءِ شَجَرَةٍ هُنَاكَ لِتَضْلِيلِ بَارُودَ حَتَّىٰ لَا يَعْرِفَ مَكَانَه .

وَيَبْدُو أَنَّ بَارُوداً ، مِنْ فَرْطِ سُرْعَتِهِ ،لَمْ يَنْتَبِهْ إِلَىٰ السُّنُونُوَة ٱلَّتِي أَفْلَتَهَا لُولُو مِنْ بَيْنِ أَنْيَابِهِ. وَظَلَّ يَعْدُو وَرَاءَ لُولُو بَيْنَمَا تَوَقَّفَ كُلٌّ مِنْ سُعَادَ وَشَوْقِي عَنِ

الإِشْتِراكِ بِالْمُطارَدَةِ بِسَبَبِ مَا أَصَابَهُمَا مِنَ التَّعَبِ وَالإِرْهَاقِ . وَلٰكِنَّ سُعَادَ وَشَوقي شَاهَدَا السُّنونُوةَ الَّتِي أَلْقَاهَا لُولُو أَرْضاً ... وَفَكَّرا بِأَنَّ السُّنونُوةَ أَصَابَهَا التَّعَبُ أَيضاً وَهِيَ لِذٰلِكَ ظَلَّتْ مَطْرُوحَةً عَلَى الأَرْضِ لاَ تَتَحَرَكُ أَبَداً. فَأَخَذا يُفَكِّرانِ بِأَن السُّنونُوةُ رُبَّما ماتَتْ مِنْ شِدةِ مَا ضَغَطَ عَلَيها لُولُو بِأَنْيَابِه .

- تَعَالَ نَذْهَبْ إِلَى هُنَاكَ يَا شَوقِي فَلَرُبَّما نَسْتَطِيعُ تَقْدِيمَ الْمُسَاعَدَةِ لَهَا . » .

وَرَدَّ شَوقي عَلَيها قَائِلاً :

- لا أَعتَقِدُ أَنَّ هُنَاكَ أَيَّةَ فَائِدَةٍ تُرْجَى مِنْ ذِهَابِنَا طَالَمَا أَنَّها لَمْ تَطِرْ مِمَّا يَعْنِي بِأَنَّها مَيْتَةٌ » .

وَبَعْدَ لَحْظَةِ صمتٍ ، رفعتْ سُعادُ رَأْسِهـا وقالتْ لِشَوْقِي : دعْنا على الأَقلِّ نذْهبْ وَنُبْعِدْها مِنَ الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَعُودَ لُولُو مِنْ هٰذِهِ الطَّرِيقِ ويأْكُلَها .

وَفِي هذه ٱلأَثْنَاءِ ، شاهَدَتْ سُعادُ ٱلكَلْبَ بَارُوداً عائِداً حامِلاً بَيْنَ أَسْنَانِه السُّنُونُوةَ وَقادِماً يَعْدُو صَوْبَهُما. عِنْدَئِذٍ فَرِحَتْ سُعَادُ وَقَالَتْ لِشَوْقِي :

– شَوقِي ... شَوقِي ! أَنْظُر بَارُودَ قَادِماً وَبَيْنَ أَسْنَانِهِ السُّنُونُوةُ ... بِرَبِّكَ أَسْرِعْ وَخَلِّصْها مِنْهُ .

وَكَانَ شَوقِي يَعْرِفُ أَنْ لا خَوْفَ هُنَاكَ عَلَى السُّنُونُوةِ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتْ فِي حِمَايَةِ بَارُودَ . وَبَارُودُ لَن يَأْكُلَها لِأَنَّهُ كَانَ مُدَرَّباً عَلى الصَّيدِ وَقَدْ سَبَقَ لَهُ وَحَمَلَ ٱلعَدِيدَ مِنَ الطُّيُورِ بَيْنَ أَسْنَانِهِ . وَمَعَ ذٰلِكَ ، دَفَعَتْهُ سُعَادُ كَي يُحَاوِلَ تَخْلِيصَ السُّنُونُوةِ مِنْ بَيْنِ أَسْنَانِ بَارود. فَقَامَ شَوْقِي يُنَادِي إِلَى بَارُودَ وَيُدَاعِبُهُ قَائِلاً :

– بَارُود ... بَارُود ... إِتْرُكْها يَا بَارُودُ ... إِرْمِ السُّنُونُوةَ

وَلٰكِنَّ بَارُوداً ظَلَّ يَرْكُضُ حَتَّى ٱقْتَرَبَ مِنْ شَوْقِي . وَآنَذَاكَ ، أَلْقَى السُّنُونُوةَ أَرْضاً ... وَأَدْرَكَ كُلٌّ مِنْ شَوْقِي وَسُعادُ أَنَّها مَاتَتْ ، فَكَانَتْ لا تَتَحَرَّكُ أَبَداً ٱلأَمْرُ ٱلَّذي

دَفَعَ سُعَاد لِلْبُكَاءِ حُزناً عَلى مَوتِ السُّنُونُوةِ وَقَالَتْ لَهُ :

- تَعَالَ نَحْفُرُ لَهـا قَبْراً صَغِيراً نَدْفِنُها فِيهِ وَنَضعُ فَوْقَهُ بَعْضَ الزُّهُورِ .

وَصَاحَ بِهَا شَوْقِي بَعْدَ أَنْ أَبْصَرَ السُّنُونُوةَ وَقَدْ فَتحت عَيْنَيْها ، قَائِلاً :

- كَلاَّ . لَنْ نَفْعَلَ ذلِكَ ... أُنْظُرِي يَا سُعَادُ لَقَدْ فَتَّحَتْ عَيْنَيْها ٱلآنَ .

وَفِي هٰذِهِ ٱللَّحظَةِ . وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَطِيعَ سُعَادُ النَّظَرَ إِلى السُّنونُوَّةِ ، تَمَلْمَلت هَذِهِ الأَخيرةَ في مكانِها ثُمَّ صَفَّقَتْ بِجَنَاحَيها وَطَارَتْ فِي ٱلْفَضَاءِ وَكَأَنَّها لَمْ

تَتَعَرَّضْ لِأَيِّ حَادِث .

عِنْدَئِذٍ ، عَادَ ٱلْفَرَحُ وَالسُّرُورُ إِلىَ قَلْبِ كُلٍّ مِنْ سُعَادَ وَشَوْقِي ، ثُمَّ بَادَرَ شَوقِي إِلىَ ٱلْكَلْبِ يُربتُ عَلَى ظَهْرِهِ بِنُعُومَة بَيْنَمَا كَانَ بَارودُ يُلوِّحُ بِذَيْلِهِ وَقَدْ تَدَلَّى لِسَانُهُ ٱلأَحْمَرُ مِنْ فَمِهِ ... وَيَتَطَلَّعُ إِلىَ شَوقِي تَارَةً وَإِلىَ سُعَادَ



تَارَةً أُخْرَى كَمَا لَوْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُعَبِّرَ لَهُما عَنْ سُرُورِهِ هُوَ أَيْضاً بِعَوْدَةِ ٱلْحَيَاةِ إِلَى السُّنُونُوةِ .

وَأَخِيراً سَارَا نَحْوَ ٱلْبَيْتِ وَمَعَهُما بَارُودُ . فَالْتَفَتَ شَوْقِي إِلَى سُعَادَ وَقَالَ لَهَا :

- عِنْدي فِكْرَةٌ رائِعَةٌ يا سُعادُ ... وَلٰكِنَّني لا أَدْرِي ما إِذا كانَ جارُنا سَعيدٌ يَقْبَلُ بِها فَيَسْمَحُ لَنا بِرَبْطِ بارُودٍ عِنْدَ بابِ ٱلْمَخْزَنِ لِيَقُومَ بِحِراسَةِ السُّنونُوَةِ



وَهٰكَذَا نَادَى سَعِيدٌ كَلْبَهُ بَارُودَ وَلَمْ يَرْضَ إِلاَّ أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِهِ إِلَى مَكَانِ السُّنُونُوةِ وَيَرْبُطُهُ بِالْبَابِ.

وَمُنْذُ ذٰلِكَ ٱلْحِينِ، عَادَ السَّلَامُ يُخَيِّمُ فَوْقَ ٱلْمَخْزَنِ وَعَادَ ٱلاطْمِئْنَانُ وَٱلْأَمَانُ إِلَى قَلْبِ السُّنُونُوةِ وَصِغَارِهَا الَّذِينَ بَدَأُوا يَتَعَلَّمُونَ كَيْفَ يَطِيرُونَ. بَيْنَمَا عَادَتْ سُعَادُ إِلَى أُرْجُوحَتِهَا ... ضَاحِكَةً. مَسْرُورَةً.

شرح الكلمات الصّعبة

بمشورة : بنصيحة .
تراءت : ظهرت .
تشذب : تهذب أي بمعنى تظبط .
يتأهب : يستعد .
الانقضاض : الوثوب والقفز .
البتة : أبداً .
تقبع : تجلس وحيدة .
رمقته : نظرت إليه .
لم يكترث : لم يبال .
أقصى : أعلى : أبعد .
راقدة : نائمة .
بضع : عدد قليل وبضع لحظات : قليل من الوقت .
خلالها : وقتها ، أثناءها .
رابضة : جالسة .
انصتي : استمعي .

النافذة : الشباك .
سرعان : أي بصورة عاجلة .
بغريزته : بفطرته .
الهر : القط .
أعجز : أضعف .
بدون جدوى : بدون فائدة .
لا تكترث : لا تهتم .
تلو : بعد .
مخالب : جمع مخلب : وهو ظفر الحيوان .
أدرك : فهم ، فطن .
فرط : شدة ، كثرة .
تململت : تحركت .
بادر : أقبل ، بدأ .
يربت : يمسح .

طبع هذا الكتاب على مطابع
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
بيروت . شارع سوريا
تلفون ٢٣١٩٣٠ ص . ب ١٣٩٠



منشورات: المكتب العالمي للطباعة والنشر - بيروت
خندق الغميق - ملك الخليل - ص ب: ٨٠٣٨ - تلفون: ٢٥٥٢١٧ - ٢٢٢١١٠
- برقيا: مكتحياة - تلكس: ٤٠٠٣٠ حياة